

وبتطور المؤسسات الادارية وتفرعها، ازدادت الحاجة إلى الكتاب المدرسين والقادرين على القيام بالأعمال التي توكل اليهم مع معرفة باللغة وبأصول صناعة الكتابة. ويبدو أن مثل هذه الحاجة لم تكن ملحّة في فترة القرن ونصف القرن الأولين من الهجرة، إذ لا نجد في المصادر المتوافرة تركيزاً على الكتاب أو على تدريبهم، كما لا نجد مؤلفات متخصصة في صناعة الكتابة كالتّي برزت منذ النصف الأول من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، والتي تركز على أصول هذه الصناعة وفروعها، وستنطرق إلى بعضها بصورة موجزة بعد قليل.

كان تدريب الكتابة حتى نهاية القرن الأول من الدولة العباسية يتم في الدواوين، وكان أغلب المتدربين من أبناء الكتاب الذين في خدمة الدولة. والأمثلة التي توضح هذا الأمر كثيرة. فبعد تعريب الديوان في العراق سنة ٥٧٨هـ / ٦٩٧م على يد صالح بن عبد الرحمن، كاتب الحجاج بن يوسف، تتلمذ على يديه عدد من الكتاب الذين تولوا الدواوين في العراق حتى نهاية الدولة الأموية^(١). وكاتب الرسائل المشهور، سالم، مولى هشام بن عبد الملك، تعلم في الديوان، إذ يذكر التنوخي «روى حميد، كاتب ابراهيم بن المهدي، أن ابراهيم حدثه، أن مخلداً الطبري، كاتب المهدي على ديوان السر، حدثه، أن سالماً مولى هشام بن عبد الملك، وكاتبه على ديوان الرسائل، أخبره أنه كان في ديوان عبد الملك يتعلم كما يتعلم الأحداث في الدواوين»^(٢). كما يروى عن أحمد بن يوسف بن الأزرق التنوخي أنه قال «كنت وأنا حدث، أتعلم في ديوان زمام السواد...»^(٣)، ويذكر أيضاً خبراً عن أبي الحسين الباقطائي «كنا نتعلم، ونحن أحداث، في ديوان اسحاق بن ابراهيم الطاهري، ومعنا فتى من الكتاب، له خلق جميل...»^(٤). وعندما قدم الخليفة المأمون من خراسان إلى العراق، فكّر في تقليد الأعمال والدواوين في سواد العراق للشيعة والأعوان الذين قدموا معه والذين لم تكن لهم دراية بأعمال الدواوين، فأدى ذلك إلى تعطل كتاب السواد وعمّاله حتى احتال أحد شيوخ الكتاب في الدخول إليه واقناعه «... يا أمير المؤمنين: أصحابنا (الشيعة) هؤلاء ثقافت يصلحون لحفظ ما يصل إلى أيديهم من الخزائن والأموال، وأما شروط الخراج وحكمه، وما يجب تعجيل استخراجها، وما يجب تأخيرها، وما يجب إطلاقه وما يجب منعه، وما يجب الاحتساب به، فلا يعرفونه، وتقليدهم يعود بذهاب الارتفاع... ضم إلى كل واحد منهم رجلاً منا،

(١) الجهشباري، الوزراء، ص ٣٩.

(٢) التنوخي، الفرج بعد الشدة، تحقيق عبود الشالحي، ج ٣، دار صادر (بيروت، ١٩٧٨)، ص ١٩١.

(٣) المصدر ذاته، ٢، ص ١٧٢.

(٤) المصدر ذاته، ٤، ص ٨٣.